(المحاضرة الثالثة)

غزو نابليون لمصر عام ١٧٩٨

عندما نشبت الثورة الفرنسية واصبحت الطبقة الوسطى **(البرجوازية)** هي الحاكمة على فرنسا الجديدة قضى هؤلاء على التمرد الداخلي والخارجي المرتبط بالإقطاع والملكية.

وبعد ان استقرت الامور اخذت تتطلع الى خارج فرنسا لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية وكان غزو نابليون لمصر سنة ١٧٩٨م جزءاً من خطة فرنسية:-

١- لضرب النفوذ البريطاني.

٢- السيطرة على طريق الهند.

٣- تأسيس امبراطورية فرنسية في الشرق.

ابحر الاسطول الفرنسي بقيادة **(نابليون بونابرت)** من ميناء **(طولون)**. ووصل الى الشواطئ المصرية في اواخر شهر حزيران عند مدينة الاسكندرية.

وفي الاول من تموز عام ١٧٩٨ بدأ انزال الجيش الفرنسي بالقرب من الاسكندرية فواجه مقاومة عنيفة من السكان المحليين لكن نابليون استطاع من دخول الاسكندرية وواصل زحفه نحو القاهرة.

واجه جيشه صعوبات جمة لشدة الحر والماء والغذاء والمقاومة من افراد العشائر العربية المنتشرة على الطريق بين الاسكندرية والقاهرة. وعند اهرام الجيزة جرت معركة **(امبابة)** وانتهت بهزيمة حكام مصر من المماليك وتكبدوا خسائر جسيمة خلافاً للفرنسيين الذين كانت خسائرهم طفيفة. لذلك اضطرت القاهرة للاستسلام فدخلها الفرنسيون في ٢١ تموز ١٧٩٨م.

عانت مصر التي ظلت ولاية عثمانية منذ احتلال السلطان سليم الاول لها سنة ١٥١٧م وحتى سقوطها بيد الفرنسين من فوضى سياسية وتخلف اقتصادي وجمود ثقافي.

وفي الوقت الذي كانت جحافل نابليون تطرق ابواب القاهرة كان يتنازع على الحكم فيها اميران من امراء المماليك وهما **(ابراهيم بيك ومراد بيك)** وبعد احتلال القاهرة فر ابراهيم بيك بجيشه الى شبه جزيرة سيناء وانسحب مراد بيك الى الصعيد وتركا الشعب المصري بمواجهة الغزو الفرنسي.

وجه نابليون منذ اول نزوله على مصر نداءً للشعب المصري مزج فيه افكار الثورة الفرنسية من حرية واخاء ومساواة بتهديدات القوي الغاصب وتلاعب بعواطف الناس ومشاعرهم الدينة. فتظاهر بحبه الاسلام وزعم انه مسلم يغار على الاسلام ويحرص على حمايته وانه جاء محرراً لا فاتحاً وانه عدو المماليك الذين استبدوا بالسلطة وظلموا المصريين ونهبو خيراتها. وانه امين على ارواح الناس وممتلكاتهم.

ووعد باستمرار المشايخ والعلماء والقضاة في مناصبهم، ولكنه هدد بشكل صارم كل من يقاوم القوات الفرنسية وقال بان كل قرية تقاوم الجيش الفرنسي سيكون نصيبها التدمير.

وبعد احتلال القاهرة بأيام جاءت لنابليون اخبار تفيد بتحرك الاسطول البريطاني بقيادة **(نلسون)** الذي حطم الاسطول الفرنسي في **(موقعة ابي قير)** قرب الاسكندرية وكان لهذه المعركة اثر كبير في القضاء على المشروع الفرنسي بأرسال حملة للهند لإخراج البريطانيين منها. كما كانت نتائج هذا التدمير خطيرة على الجيش الفرنسي الموجود في القاهرة إذ قطعت الصلة بينه وبين فرنسا ذاتها. فاضطر نابليون الى الاعتماد على مصر في تموين جيشه ولم تقف اثار هذه المعركة عند هذا الحد بل جعلت السلطان العثماني يعقد حلفاً مع روسيا عدوة فرنسا آنذاك، كما تحالف مع بريطانيا على اساس ضمان كل من الدولتين سلامة الدولة الاخرى. وكان على نابليون ان يتفرغ لمواجهة الاخطار الخارجية فضلاً عن الاوضاع الداخلية التي تمثلت بازدياد المقاومة المصرية لقوات الغزو وقيام ثورة سنة ١٧٩٨م ضد الفرنسين.

أ- ثورة القاهرة الاولى ١٧٩٨م

من أسباب هذه الثورة تذمر الشعب المصري من إجراءات الفرنسيين الاقتصادية والمالية عندما أراد نابليون استغلال مصر لإعالة جيشه وتموينه ولذلك عمد الى تحصيل الأموال بمختلف الوسائل ففرض ضرائب ثقيلة على الأراضي والعقارات والمهن وغيرها.

صار الجامع الازهر ميدانا من ميادين الثورة ضد الغزو الفرنسي فسرعان ما تشكلت فيه لجان لتنظيم المقاومة، انظم اليها المشايخ والعلماء وزعماء البلاد واخذ الخطباء يحرضون الناس على الثورة ويثيرون شكوك حول أعضاء ديوان القاهرة الذي شكله نابليون انتهز زعماء الثرة فرصة تذمر الشعب من الضرائب الجديدة فاعلنوا العصيان المدني في ٢١ تشرين الأول ١٧٩٨ فأقفلت الدكاكين وتجمع الألوف من أبناء الشعب وساروا في تظاهرة كبيرة الى مركز القيادة الفرنسية لإعلان تذمرهم من الضرائب الجديدة وصارت القاهرة في ذلك اليوم في وضع لم تالفه من قبل واخذت الأسلحة تظهر في كل مكان وقد تقدم الثوار الى المخافر الفرنسية واشتبكوا مع الجنود

اما نابليون فقد اسرع في اتخاذ إجراءات سريعة وامر جنوده بأطلاق الرصاص على الثائرين وضرب الجامع الازهر بالمدافع وهدمت الكثير من الدور على سكانها إزاء القسوة التي واجه بها نابليون الثوار الذين فقدوا اكثر من أربعة الاف شهيدا تقدم عدد من المشايخ الى نابليون وطلبوا منه وقف القتال وبعد فشل الثورة فتك الجنود الفرنسيين بالمواطنين ودخلوا الازهر وربطوا فيه خيولهم ونهبوا ما فيه واعدموا كثيرا من الناس بدون محاكمة.

لقد كان من نتائج الثورة شعور نابليون بانه يعيش على ارض ترفض العدوان وتقاومه وصار كل فرنسي لا يستطيع السير الا ومعه سلاح وحاول نابليون زرع بذور الفرقة بين المسلمين والاقباط شانه بذلك شان كل مستعمر يلجا الى أسلوب التفرقة ولكن الشعب المصري قطع على نابليون سبيل ذلك فاعلن تمسكه بمبدأ النضال ضد المستعمر.

ب- ثورة القاهرة الثانية ١٧٩٩ وجلاء الفرنسيين من مصر:

مها بقسوة شديدة وسميت بثورة القاهرة الثانية ي١٧٩٩م عندئذ شعر **(كليبر)** بعدم قدرته على البقاء في ارض مصر فبعث برسالة الى الحكومة الفرنسية طالبا منها انهاء حالة الحرب بين الدولتين وبدأت المفاوضات الفرنسية العثمانية وانتهت بعقد (معاهدة العريش) في كانون الثاني سنة ١٨٠٠ وخلاصتها الموافقة على جلاء الفرنسيين بكامل أسلحتهم وامتعتهم على سفن فرنسية وعثمانية بلا قيد او شرط ولكن الحكومة البريطانية تدخلت وطلبت تسليم الفرنسيين واسلحتهم كأسرى حرب فرفض الفرنسيون ذلك لكن بعد سنة ١٨٠١ تغير الموقف في اوربا عندما بدأت خطوات الصلح بين بريطانيا وفرنسا تسير بسرعة فتم الاتفاق على جلاء الجيش الفرنسي بكامل أسلحته على سفن بريطانيا وبعد الجلاء المذكور نجحت المفاوضات البريطانية – الفرنسية وعقد صلح أميان في ٢٧ اذار سنة ١٨٠٢.